عناية القرآن والسنة بتربية الشباب

د. صالح سيد عوى

تمهيد : —

الإسلام دين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها . قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١) ، وقال ﷺ (ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟)(٢) ثم يقول ﷺ (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

وإذا كانت الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى العمل بهذا الدين .

فالشباب — وهو العنصر القوي الذي تقوم على أكتافه نهضة هذه الأمة — في أمس الحاجة إلى هذه التعاليم السامية التي جاء بها الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

(٢) يوضح القرطبي في تفسيره حـ ١٤ صـ ٢٩ أن ذكر الأبوين — في هذا الحديث الشريف — إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة .

ويوضح أيضا أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات ، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريئا من العيوب ، لكن يتصرف فيه فيجدع أذنه ويوسم وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل ، وكذلك الإنسان ، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح .

ذلك أن الشباب حينما يواجه بمشاكل متعددة، وأزمات متنوعة، لن يجد لها حلا صادقا يشفى غليله، ويريح قلبه إلا فى هذا الدين الحنيف المتمثل فى كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ونود فى هذا البحث أن نتحدث عن معنى الشباب، واهتمام الباحثين بالكتابة عنهم، ومكانتهم فى الإسلام، والمشكلات والأزمات التى يواجهونها فى حياتهم، وعلاج الإسلام لها، والوصايا المختلفة التى يوجهها القرآن الكريم و كذلك الرسول ﷺ، وسائر العلماء والحكماء المخلصين إلى الشباب ليكونوا على بينة من الأمر حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والله المستعان.

معنى الشباب، واهتمام الباحثين بالكتابة عنهم: —

الشباب جمع شاب. ويقال أيضا (الشبان)، و (الشبية).

وشب الصبي يشب من باب ضرب شبابا وشبية وهو شاب.

وذلك سن قبل الكهولة وقوم شبان مثل فارس وفرسان وكما يطلق على الأنثى، يقال: امرأة شابة والجمع شواب مثل: دابة ودواب، ويقال كذلك فتوة شبائب(١).

أما عن ترتيب سن الشباب فيقول الثعالبي(٢): ما دام فى الرحم فهو

---

(١) القاموس المحيط، والمصباح المنير، ومختار الصحاح.

(٢) هو: الإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب المؤلفات الكثيرة مثل: يتيمة الدهر . . . والكتاب الذى معنا: فقه اللغة ص ٧١ — ٧٣ الطبعة الأولى بالمطبعة الأدبية بمصر سنة ١٣١٧

جنين ، فإذا ولد فهو وليد ، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ ـ لأنه لا يشتد صدغه إلى تمام السبعة . ثم ما دام يرضع فهو رضيع . ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم . ثم إذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جحوش عن الأصمعي وأنشد للهذلي :

فتلنا خلدا وابنى حراق وآخر جحوشا فوق الفطيم

(قال الأزهر) كأنه مأخوذ من الجحش الذي هو ولد الحمار .

ثم هو إذا دب ونما فهو دارج . فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي فإذا سقطت رواضعه فهو متغور ، عن أبي زيد فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو متغر عن أبي عمرو . فإذا كاد يجاوز العشر السنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشيء .

فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق . فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور — وإسمه في جميع الأحوال التي ذكرنا غلام — فإذا اخضر شاربه وأخذ عذاره يسيل قيل بقل وجهه ، فإذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثم مادام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، ثم هو كهل إلى أن يستوفي الستين .

وقد قال عن المرأة : « هي طفلة مادامت صغيرة . ثم وليدة إذا تحركت ثم كاعب إذا كعب ثديها ، ثم ناهد إذا زاد . ثم معصر ، إذا أدركت .

ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار ، ثم خود إذا توسطت الشباب ثم مسلف إذا جاوزت الأربعين ، ثم نصف إذا كانت بين الشباب والتحجير ، ثم شهلة كهلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد . ثم شهبرة إذا عجزت وفيها تماسك ، ثم حيزبون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة ، ثم قلعم ولهلط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها » هذا بعض ما قاله

أهل اللغة عن الشباب والشواب . وإذا ما نظرنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم نجده نادى الشباب بهذا اللفظ قائلا : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج . فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »(١) .

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك »(٢).

أما القرآن الكريم فإننا نجده — فيما نعلم — يتحدث عن الشباب بالمعنى لا باللفظ ومن هذا الحديث قوله تبارك وتعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف — إنهم فتية آمنوا بربهم »(٣) . « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)(٤) ، (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين)(٥) (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه)(٦)، (ودخل معه السجن فتيان)(٧) ، (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها)(٨) ، (فمن ما ملكت أيمانكم من

---

(١) رواه البخارى عن أبى مسعود رضى الله عنه

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عمر بن ميمون

(٣) الكهف ١٠ ، ١٣

(٤) الأنبياء ٦٠

(٥) الكهف ٦٠

(٦) يوسف ٣٠

(٧) يوسف ٣٦

(٨) يوسف ٦٢

فتياتكم المؤمنات) (١) ، (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا)(٢).

ولهذا يقول الراغب الأصفاني : « الفتى الطرى من الشباب والأنثى فتاة والمصدر فتاء » ، ويكنى بها عن العبد والأمة(٣) .

هذا بعض ما قيل عن معنى الشباب فى القرآن ، والسنة ، واللغة .

وإذا عرجنا على الباحثين عن الشباب والكتابة عنهم سنجد الكثير قديما وحديثاً تناولوا الشباب بالدراسة والتحليل أذكر منهم على سبيل المثال ما يلى :

١ — «الشيب والشباب» للحسن بن خلاد وكان يسلك طريقة الجاحظ ويذهب مذهبه فى التأليف كما قال بعض الباحثين .

٢ — « الشباب وفضله عن الشيب » لأبى عبد الله محمد الحكيمى ، ولا يعرف عصره .

٣ — « الخضابات ، وذم الشيب ومدح الشباب » ليعقوب بن محمد ابن على .

٤ — « الشيب والتعمير » لابن أبى الدنيا من أدباء القرن الثالث الهجرى واشتهر بالتأليف والتصنيف فى موضوعات كثيرة وتوفى ٢٨١ هـ .

---

(١) النساء ٢٥

(٢) النور ٣٣

(٣) المفردات فى غريب القرآن — لأبى القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفانى — ط الحلبى

٥ — « الشباب والهرم » لأرسطو أشار إليه حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » .

٦ — « الشهاب ، في الشيب والشباب » للشريف المرتضى وهذا هو الكتاب الوحيد في هذا الموضوع الذي أبقته المكتبة العربية من الكتب القديمة السابقة كما قال بعض الباحثين(١) ويرجع الفضل في صدوره سنة ١٨٨٥م إلى العلامة اللغوي أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة «الجوائب» ومطبعتها الشهيرة بالقسطنطينية .

٧ — مقال تحت عنوان : «الدعوة الإسلامية والشعبية القرشية» للشيخ عبد المتعال الصعيدي بجريدة الأخبار) ٣ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ وله أيضا كتاب : «شباب قريش في العهد السري للإسلام» نشر دار الفكر العربي .

٨ — بحث قيم عن « تربية الشباب على مبادىء الإسلام للأستاذ عبد الحميد حسن بالمؤتمر الثاني بمجمع البحوث الإسلامية .

٩ — بحث قيم عن «شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين» لفضيلة الشيخ نديم الجسر بالمؤتمر الثاني بمجمع البحوث الإسلامية .

١٠ — مجلة الهلال بولية سنة ١٩٧٢ م عدد خاص عن «الشباب» .

١١ — «الإسلام ومشكلات الشباب» كتاب للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي نشرته مكتبة الفارابي ببيروت — لبنان .

---

(١) الأستاذ محمد عبد الغني حسن في بحثه بعنوان مع الشريف المرتضى في كتابه الشهاب في المشيب والشباب بمجلة الهلال عدد يولية ١٩٧٢ م — جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ

١٢ — كتاب تحت عنوان « خمس رسائل إلى الشباب المسلم » للدكتور محمد الهى — نشر دار الفكر ببيروت — لبنان .

١٣ — « عناية الإسلام بالشباب » نشرة تصدر عن المكتب الفنى بوزارة الأوقاف بمكتبة الإمام رجب سنة ١٣٨٨ هـ — أكتوبر سنة ١٩٦٨ م .

١٤ — « واجب الشباب المسلم اليوم » محاضرة لأبى الأعلى المودودى .

١٥ — « أحاديث إلى الشباب : عن العقيدة والنفس والحياة فى ضوء الإسلام » كتاب الأستاذ أنور الجندى .

١٦ — « المثل الأعلى للشباب المسلم » كتاب للأستاذ أنور الجندى .

١٧ — « قدوة الشباب : عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز » كتاب للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل .

١٨ — « الشباب وحرية الاختيار » للدكتور رشدى فكار ، نشر دار المعارف للطباعة والنشر بالرباط .

١٩ — « تحفة الودود بأحكام المولود » كتاب للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١) .

٢٠ — لفتة الكبد إلى نصحية الولد « كتاب للحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) .

٢١ — النشرة التوجيهية لإدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر .

٢٢ — « الإسلام والشباب » للأستاذ أحمد حسين .

٢٣ — المجلات الإسلامية مثل : الوعى الإسلامى بالكويت ، لواء الإسلام بالقاهرة ، والرابطة الإسلامية ، والتضامن بمكة المكرمة ، وجوهر الإسلام بتونس ، وهدى الإسلام بالأردن ، والمسلم المعاصر بلبنان ،

والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومنبر الإسلام بالقاهرة الخ ..

٢٤ — دور القيم الروحية والتربوية فى حل مشاكل الإنسان للأستاذ عبد اللطيف برى — نشر دار التراث الإسلامى بلبنان .

٢٥ — عناية الإسلام بتربية الفرد المسلم ، مقال بمجلة منبر الإسلام للدكتور مصلح سيد بيومى ، عدد شوال ١٣٩٤ هـ .

٢٦ — شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب .

٢٧ — الإنسان بين المادية والإسلام للأستاذ محمد قطب ، الخ ...

مكانة الشباب فى الإسلام :

للشباب فى الإسلام مكانة عامة ، وموضع تقدير وإجلال ، ذلك أن الشباب على أكتافه تنهض الأمم ، وتتقدم الشعوب وتصل إلى ذروة المدنية والحضارة ، من أجل هذا اهتم به القرآن الكريم ، وسنة النبى صلى الله عليه وسلم والعقلاء الصالحون من الأمة المحمدية .

فإذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم نجده يبين مراحل الحياة للإنسان ، ومنها مرحلة القوة أى مرحله الشباب. قال تعالى: «الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير(١) » ، كما يبين أيضاً أن الشباب هم الفئة الواعية التى تسرع إلى دعوة الخير ومحاربة الرذائل فى كل زمان ومكان ، خاصة إذا كان هؤلاء الشباب من صفوة الخلق على الإطلاق وهم الأنبياء والمرسلون عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام حينما خرج إلى هذا الوجود رأى قومه يعبدون الأصنام من دون الله فأنكر عليهم ذلك

---

(١) سورة الروم آية ٥٤ :

قولا وفعلا مما عرضه ذلك لغضبهم وأذاهم صابرا محتسبا حتى نصره الله ، قال تعالى : « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ، قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ، قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين ، وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم ، لعلهم إليه يرجعون[1] » إلى أن قال تعالى : « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » .

كما أنكر عليهم أيضاً عبادتهم للنجوم والقمر والشمس من دون الله تعالى .

قال تعالى : « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين[2] » .

وهذا الشاب إسماعيل عليه السلام يطيع والده في جميع أموره ، ومنها : مشاركته في بناء البيت الحرام ، قال تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك السميع العليم[3] » .

---

(١) سورة الأنبياء : ٥١ — ٥٨

(٢) سورة الأنعام : ٧٦ — ٧٩

(٣) سورة البقرة آية ١٢٧

ومنها : إذعانه لوالده حينما أشار عليه بما رآه فى منامه، قال تعالى: «فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت أفعل ماتؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين(١) » .

من أجل هذا نرى أن الله عز وجل يثنى على إسماعيل عليه السلام فيقول « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً » .

وهذا الشاب المؤمن لوط عليه السلام أول من آمن بمقالات إبراهيم عليه السلام وهو ابن أخيه(٢) . قال تعالى : « فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم(٣) » .

كذلك نجد أن نبى الله يوسف عليه السلام ابتلاه الله تعالى وهو فى ريعان شبابه بالإغراء فى متع الحياة تارة وبالسجن تارة أخرى ، وخرج من كل هذا بصبره وقربه من الله تعالى محفوظاً برعايته ، شاكراً لأنعامه .

قال تعالى : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لايفلح الظالمون » ، وقال تعالى : « ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ؛ وقال تعالى : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين(٤) ».

---

(١) سورة الصافات آية ١٠٢

(٢) تفسير أبى السعود ج ٤ ص ١٩٩ مطبعه صبيح .

(٣) سورة العنكبوت آية ٢٦ .

(٤) سورة يوسف آية ٢٣ ، ٢٩ ، ١٠١

كما نجد أن موسى عليه السلام وهو في عنفوان شبابه حينما رأى امرأتين تنتظران بجوار جمع كبير لسقي غنمهما ووجد أن الأمر سيطول بهما فتقدم في مروءة لتقديم عمل خالص لوجه الله عز وجل ، فكان هذا العمل سبباً لبدء حياة جديدة لموسى عليه السلام .

قال تعالى: « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل(١) .

وهذه فتية طيبة من الشباب الصابر الذين ورد ذكرهم في القرآن وهم أهل الكهف ، نجد أن الله عز وجل يبين في كتابه صفات هذه الفئة المؤمنة ويثني عليهم فيقول : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى(٢) .

هذا قليل من كثير مما ورد ذكره عن الشباب في القرآن الكريم .

---

(١) سورة القصص : ٢٣ — ٢٨

(٢) سورة الكهف آية ١٣

أما ما ورد فى السيرة النبوية الشريفة عن الشباب فنذكر إعلى سبيل المثال مايلى :

(١) قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله — ﷺ — وصلى معه وصدق بما جاء به من الله تعالى على بن أبى طالب ابن هاشم رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ بن عشر سنين .

وقال أيضاً ابن إسحاق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن أبى طالب مستخفياً من أبيه أبى طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، وذكروا أن أبا طالب قال لعلى : أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت بالله ورسول الله ، وصدقت بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته ، فقال أبو طالب : أما أنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه(١) .

هذا الشاب المؤمن الذى آمن بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم دون أن يستشير والده أبا طالب ، له من الذكريات العظيمة فى شبابه ما يجعله قدوة للشباب الطامح فى كل زمان ومكان ، ومن ذلك أنه رضى الله عنه كان فداء لرسول الله ليلة الهجرة حينما نام على فراشه وهو متشح ببرده الأخضر ، وأدى ما عند الرسول من الودائع والأمانات ، ووقف يوم الخندق أمام عمرو بن ود الفارس العربى الشهير وقتله ، وفى يوم بدر تصدى مع حمزة لشيبة فقتلاه(٢) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص ٢٤٥ — ٢٤٦ — مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤

وهكذا كانت هناك مواقف شهيرة لعلى رضى الله عنه تدل على شجاعته وقوة إيمانه بالله رب العالمين .

(ب) ومن الشباب المؤمن الذين ورد ذكرهم فى صدر الإسلام ومجدهم مبلغ هذا الدين الحنيف «عبدالله بن عباس رضى الله عنهما» «هذا الشاب الذى تشرف بصحبة النبى ﷺ كان ثاقب الفكر ، ذا عقل راجح ، حتى بلغ من أمره أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه كان يقربه فى مجلسه مع كبار الصحابة ، ولنترك رضى الله عنه ليحدثنا عن موقف من مواقفه العظيمة .

يقول ابن عباس فيما رواه البخارى وغيره : «كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم ، فوجد بعضهم من ذلك ، فقالوا : يأذن لهذا الفتى معنا ، ومن أبنائنا من هو مثله ، فقال لهم عمر : إنه من قد علمتم — أى من جهة ذكائه ومعرفته — قال : فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم ، فسألهم عن هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » فقالوا : أمر الله عز وجل نبيه ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب اليه . فقال : ما تقول يا ابن عباس: قلت : ليس كذلك ، ولكن أخبر الله نبيه حضور أجله ، فقال: «إذا جاء نصر الله والفتح » ، فذلك علامة موتك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ، فقال عمر : ما تلوم منى عليه؟ ثم قال: « ما أعلم منها إلا ما تقول(١) .

(ج) ومن الشباب الذين كانت لهم مكانة عالية فى الإسلام «أسامة بن زيد» مولى رسول الله ﷺ .

كان رضى الله عنه أول ذكر أسلم بعد على بن أبى طالب ، وكان يطلق عليه « حب رسول الله ﷺ وابن حبه » .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٦١ ، وتفسير القرطبى جـ ٢٠ ص٢٣٢

يقول النووي رحمه الله : « بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليه أسامة ابن زيد ، فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال رسول الله ﷺ : « إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله ، إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي ، وزاد في رواية مسلم : وأوصيكم به فإنه من صالحيكم » .

ولاه رسول الله ﷺ إمارة الجيش وفيهم عمر رضي الله عنه وأكابر الصحابة ، وعقد له اللواء ثم توفي الرسول ولأسامة عشرون سنة وقيل تسعة عشر وقيل ثمانية عشر(١) ، إلى آخر هذه الأمثلة الطيبة من الشباب الطاهر المؤمن القوي .

(د) وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق كانت في ريعان شبابها مثلاً صادقاً للشابة المؤمنة التي تركت آثاراً طيبة في تاريخ الإسلام ، ولنذكر لها على سبيل المثال موقفين عظيمين .

أولهما : ما قاله ابن إسحاق : « وحدثت عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت : لما خرج النبي ﷺ وأبو بكر ، أن نفراً من قريش فيهم أبو جهل بن هشام جاءوا فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ فقلت : لا أدري والله أين أبي ، قالت : فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طار منها قرطي » .

ثانيهما : قالت أسماء : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه ، خمسة آلاف أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره ، قال

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صـ٢٤٧ — ٢٤٨ ، وعنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة من الصحابة للنووي .

والله إنى لأراه قد جمعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت : كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت، الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده فقال : لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، قالت : لا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردت أسكت الشيخ بذلك(١) .

وهناك الكثير من المواقف العظيمة التى اشتهرت بها هذه المرأة المؤمنة وغيرها من الفتيات الصالحات اللاتى تركن أثراً طيباً فى أجيال متعاقبة إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

مشكلات الشباب وعلاجها فى ضوء الإسلام :

إن الشباب اليوم — الذين على أكتافهم تنهض المجتمعات وتتقدم الأمم يمرون بفترة حرجة فى تاريخ حياتهم، ذلك أنهم فى أزمة سلوكية ، وأزمة فكرية ، وأزمة تربوية ، لا يستطيعون أن يميزوا بين الفضيلة والرذيلة لأن أصحاب المذاهب الهدامة المختلفة ، والمبادىء المتعددة يعرضون أفكارهم ومبادئهم بصورة براقة ، وطرق جذابة تجعل الشباب — الذى لم يتلق العلم بسبب الواقى ضد هذه السموم — سرعان ما يقع فى أحضان أصحابها .

وحينما نلقى نظرة سريعة على هذه المذاهب المختلفة . نجدها تتركز التقدم الإنسانى فى العلم والتطبيق الصناعى فى فلسفتين اثنتين :

أولا : العلمانية(٢) المتشبثة فى نفوس بعض رجال الفكر فى المجتمعات

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص ١٣٣

(٢) العلمانية ، ويطلق عليها أيضاً : النظريات العلمانية : وهى التى =

المختلفة خاصة المجتمع الإسلامي الذي ينصب له الشباك لكي يقع في حالة الهاوية.

ثانيهما : المادية الجامحة التي لاتعرف من الإنسانية إلا جسم الإنسان وبدنه ، كما تحاول أن تربط هذا الإنسان بلقمة العيش لكي يعيش طول حياته يتسول ويذل من أجلها ، وهذا بالتالي يؤدي به إلى التحلل من القيم والروابط الاجتماعية معاً ، وعدم الشعور بالمسئولية الملقاة على عاتقه، ويكون كذلك في موقف اللامبالاة، وحينئذ تصبح المصلحة العليا - وهي مصلحة المجتمع - ليست مصلحة عليا ، بل تعلو مصلحة الفرد وبالتالي أنانيته(١) .

فالعلمانية والمادية وما اشتق منهما مع التقاعس عن عرض قضية الدين عرضاً يليق بالزمان والمكان فضلا عن انتشار الإباحية بكل أبعادها لاشك أن هذا كله يؤدي إلى تميع المجتمع الإسلامي - الذي نود إصلاحه ورقيه من الناحية المادية والناحية المعنوية - ومتى وصل المجتمع إلى هذه الحالة أمكن استعماره ، وأخذه إلى ما يريد أعداء الدين والإنسانية .

وبالتالي تصل الأزمات ، والمشكلات إلى أفراد هذا المجتمع خاصة الشباب الذين هم مرآة المجتمع يظهر عليهم حسنة وقبحه .

= لاتحمل أي صفة من صفات العلم وإنما القصد منها التشكيك فيما يقول الدين ، وقد وجدت عندما بدأت الحرب سافرة بين رجال الكنيسة ورجال العلم ، وقامت هذه النظريات لمحاربة الكنيسة ثم أطلقت حكمها على جميع الأديان ، ويختلف الإسلام عن المسيحية في هذا الموضوع حيث لم يقع أي نزاع بين العلم والإسلام « العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه » للأستاذ محمود شاكر ص ٦٤ — الطبعة الثانية » .

(١) خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر للدكتور محمد البهي ص ٤٠ وما بعدها مطبعة دار الفكر بيروت .

وعلى سبيل المثال حينما نلمح من بعيد نشاط هذه المذاهب الهدامة نجد أنها تعمل على تغيير نظام الأسرة تغييرا جذريا بعيدا عن الدين ليسهل قيادة أفراد هذه الأسرة إلى ما يريده أعداء الدين والوطن بل والإنسانية .

وقد بين لنا الدكتور الهمى نقلا عن بعض الصحف التي تصدر في السويد وكاليفورنيا . . . خطوات هذا التغيير فيقول : تتميز حركة تحرير المرأة المعاصرة بالسعي إلى تغيير اجتماعي شامل في الأسرة وفي العلاقة الجنسية :

(ا) فتسعى إلى مساواة الطفل غير الشرعي بالطفل الشرعي ، وقد نجحت في ذلك في البلاد الاسكندنافية حتى الآن .

(ب) وإلى عدم اعتبار الزنا سببا خلقيا يبرر مسئولية الزوجة في طلاقها من زوجها ، وقد ألغي الآن في الدنمارك .

(ج) وإلى إباحة المعاشرة الجنسية في غير علاقة زوجية : في علاقة الصداقة ، أو فيما يسمى بزواج المجموعة — كأن يتزوج مثلا أربعة من الرجال أربعة من النساء ويعيش الجميع أسرة واحدة في جميع العلاقات ومنها الجنسية وهذا شبيه بما كان في الجاهلية قبل الإسلام — أو في تبادل الزوجات والصديقات ، وإباحة العري في المجتمعات العامة .

(د) وإلى جعل الطلاق حقا للزوجين وحدهما دون تدخل من الدولة عن طريق القضاء .

(هـ) وإلى تيسير قيام الزوجية لمن دون العشرين وفوق السادسة عشرة ، بدون الحاجة إلى وصاية الآباء .

ثم بين نتيجة هذا النشاط الفعلي ونجاحه فيما يلي :

(ا) عرض أفلام الجنس في توضيح « الجماع » و« الحمل » و« الولادة » .

(ب) ونشر الصور العارية ، وكتب وأفلام الإثارة الجنسية .

(جـ) وتوجيه الشباب منـــذ المرحلة الأولى فى المدرسة إلى معرفة « الجنس » .

(د) وإباحة المواطـ ، والـحاق فى قوانين المجتمع ويشترط فقط فى إباحة المواطـ بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

(هـ) وتيسير رعاية الأم فى غير علاقة زوجية، وتيسير إسقاط الجنين، وتناول حبوب منع الحمل ، وجواز التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ، بشرط موافقة الزوجين، وأنشئت الآن على غرار بنوك الدم بعض «البنوك» للاحتفاظ بمنى الرجال ، وبالأخص منى المحاربين فى ميدان القتال ، حتى يمكن تلقيح زوجاتهم فى حالة عدم عودتهم لسبب من الأسباب (١) .

ولم يقتصر هذا النشاط الهدام على الأسرة فقط بل تعداه إلى العادات ، والتقاليد ، والآثار المختلفة التى يعتز بها أى مجتمع من المجتمعات .

وقد بين لنا أيضا الدكتور البهى نقلا عن وكالة الصحافة ، الفرنسية وبعض الصحف الروسية خطوات هذا النشاط فيقول : « وبالإضافة إلى هذه الثورات : الاقتصادية ، والصناعية ، والاجتماعية ، والجنسية ، قامت ثورة أخرى أشد عنفا على أوضاع الشباب فى العالم . . . وهى الثورة « الثقافية » ، وقد أنشئت أولا فى الصين الشيوعية لمحاولة خلع الجيل الحاضر والأجيال القادمة من الماضى وآثاره فى التراث الفكرى والحضارى والعقيدة، خلعا تاما ، والتعلق فقط « بفكر ماوتس تونج » فى الماركسية اللينينية وتدعو هذه الثورة إلى :

(ا) نبذ العادات والتقاليد والأعراف فى الأسرة .

(ب) وجوب تغيير الأسماء التى تدل على ملاك الأراضى أو على الطبقة الوسطى من الموظفين والمثقفين .

---

(١) خمس رسائل للدكتور محمد البهى ص ٢٣ - ٢٤ .

(جـ) تحطيم مصادر الحضارة الإنسانية ، فى المكتبات ، والمتاحف ، والمعارض .

(د) الدعوة إلى « الفوضوية » و« التحلل » و« عدم الالتزام » بقوانين المجتمع .

(هـ) إنشاء الفرق المختلفة من الشباب التى تدعو إلى « الانطلاق » ، ومباشرة الرحلات والندوات الصاخبة ، وتدخين الحشيش وشيوع فوضى المعاشرة الجنسية الخ (١) .

والأسف الشديد سرت هذه العدوى إلى بعض شبابنا فى الوطن العربى والإسلامى، حتى أننا نجد بعض الشباب حينما ينحرف عن الطريق السوى من الناحية الجنسية — مثلا — يتعلل بما قرره أحد علماء النفس وهو الباحث اليهودى المشهور « فرويد » من إرجاعه كل شىء حسب نظريته إلى الغريزة الجنسية ، لدرجة أن الطفل — فى رأيه — يرضع من ثدى أمه فيجد فى رضاعته لذة جنسية ! ويلتصق بأمه بدافع الجنس وهكذا إلى أن يصل إلى أن الحضارة كلها ناشئة من الغريزة الجنسية ، وأننا لا نكاد — طبعا فى رأيه — نجد شيئا فى حياة الرجل والمرأة لم يدخل فيه الجنس من بعيد أو قريب ...

وبناء على هذه النظريات الفاسدة فليفعل الشباب ما بدا لهم خوفا من الكبت الذى يصيبهم إذا امتنعوا عن الجنس — المبتذل — الذى يصلح من شأنهم فى نظرهم ، وهذه مغالطة منهم لأنهم لم يفهموا حقيقة هذا الجنس فى ضوء الدين، وإن جاز كلامهم فى أى دين من الأديان لا يجوز فى دين الإسلام الذى سلم من التحريف والتبديل .

ويوضح معنى الكبت — المزعوم — فى ضوء الدين الأستاذ محمد قطب

---

(١) خمس رسائل للدكتور محمد الهبى ٢٥ — ٢٧ .

فيقول: « ليس السكبت هو الامتناع عن المعنى الغريزى كما يخيل للكثيرين، إنما ينشأ السكبت من استفزاز الدافع الغريزى فى ذاته ، وعدم اعتراف الإنسان بينه وبين نفسه أن هـذا الدافع يجوز أن يخطر فى باله أو يشغل تفكيره ، والسكبت بهذا المعنى مسألة لا شعورية ، وقد لا يعالجها إتيان العمل الغريزى .

فالذى يأتى هذا العمل وفى شعوره أنه يرتكب قذارة لا تليق به شخص يعانى السكبت حتى ولو ارتكب هذا العمل عشرين مرة كل يوم ، لأن الصراع سيقوم داخل نفسه كل مرة بين ما عمله وما كان يجب أن يعمله ، وهذا التدوالجذب فى الشعور واللاشعور هو الذى ينشئ العقد والاضطرابات النفسية (١) .

أمام هذا التشاؤم الهدام الذى يقوم به أعداء الدين والمثل العليا، وأمام هذا التقاعس من جانب الكثير من قادة الفكر الدينى بدلا من تقديم عرضهم للرسالة السماوية عرضا صادقا يليق بالزمان والمكان ، وأمام تشويه الحقائق التى جاءبها الأنبياء والمرسلون عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم من جانب المضللين والمنتفعين، وأمام هذا التقدم الاقتصادى والصناعى فى المجتمعات الكافرة والتأخر والركود والبعد عن الدين فى المجتمعات المنتسبة إلى الإيمان .

أمام كل هذا وغيره يقف هؤلاء الشباب فى قلق وحيرة وتعب، يتساءلون : ماهذا الدين ؟ هل هذا هو الدين الذى يضمن لنا العدالة، والعمل والاستقرار والسعادة ؟ ويكون الجواب على هذا طبعا لا ، ومن هنا يكون الإنحراف ، والالحاد ، وتعرف الشيوعية طريقها إلى قلوبهم ،باعتبارها على مايتوهمون الطريق الواقعى لتضامن اجتماعى وإنسانى ملموس .

---

(١) شبهات حول الإسلام للأستاذ محمـــد قطب ص ١٥٥ — ١٥٦ طبعة مخيمر .

ولذا ظهر من جانب كثير من الشباب مايسمى بالرفض ، أى رفض كل كلام من شأنه الترغيب فى الجنة والتخويف من النار ، أو رفض كل ما يأتى به الجيل الماضى ، ويصور لنا هذا المعنى أحد دعاة (١) الفكر الإسلامى فى العصر الحديث فيقول : « وكان من المفروض أن تكون ضروب «التمرد» — أو الرفض — هذه قاسما مشتركا بين جميع البشر ، من حيث هم بشر ، ولكنها — بشكل ظاهر شديد البروز والتنوع — كانت بالمقام الأول رابطا مشتركا عند الجيل الجديد ، أى جيل الشباب ، لأن الجيل السابق جيل الآباء (سواء أكانوا آباء بالدم أم آباء بالروح) أرادوا أن يقدموا الحضارة الآلية المتسارعة لأنفسهم ، وإذا هم على الحقيقة يقدمونها لأبنائهم وأحفادهم وإذا بالأبناء والأحفاد الناشئين فى أحضان هذا التطور يقفون مواقف متعارضة مما قدم لهم .

يستثيرون بعضه ويرفضون أكثره . لما فطر عليه الإنسان كلما ارتوى بما هو موجود من تطلاب ما هو مفقود ، وهكذا انعكست الغاية المتوخاة من التسارع الحضارى ، فإذا هى عند الشباب فى التخلى عما وجد تعلقا بالذى لم يوجد ! وما دام الواقع الموجود آلة تدير كل شىء ، وبها يدار كل شىء ، فليكن التمرد عليها رفضا لنمطيتها ورتابتها بأساليب لاواعية ولا شعورية ، من طريق أحلام وهى مصروفة عن مجراها الأصيل ، غير قابلة للتحقيق إلا بعد أنماط متعاقبة من التطوير »(٢) .

والآن يجرنا الحديث بعد ما ذكرنا إلى هذا السؤال وهو : من أين تنبع أزمة الشباب أو مشكلاته ؟ . لأننا متى عرفنا المصدر الذى تجىء منه

---

(١) الشيخ صبحى الصالح من علماء لبنان .

(٢) مجلة الفكر الإسلامى بلبنان السنة ٥ العددان ٧ و ٨ ص٢٧٦-٣٠١

هذه الأزمة وهذه المشكلات ، حينئذ يمكننا وضع العلاج اللازم لهـــذا الداء ، على هذا فالجواب على السؤال كما يلى :-

نتساءل ما هو السبب فى أزمة الشباب أو مشكلاته هل المجتمع الذى يعيشون فيه أم الشباب أنفسهم ؟

يرى أكثر الباحثون من الغربيين ، ومن يسير فى فلكهم من الشرقيين أن مشكلة الشباب ظاهرة مرضية تكمن جذورها فى نفوسهم ولأسباب تتعلق بهم شخصيا(١) .

وعلى هذا الرأى فان المجتمع لا أثر له فى انحراف الشباب ، وانحلال خلقه وبعده عن المثل العليا .

وهذا ما يخالف الواقع والفطرة التى فطر الله الناس عليها .

فان الواقع يظهر لنا أن المجتمـــع له أثره الكبير فى حياة الشباب وإلا ما كان هناك داع لدور التربية والتعليم ، والوعظ والإرشاد .

أما الفطرة فقد وضح النبى ﷺ ولادة الناس على الفطرة فى قوله : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه . تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جـــدعاء ؟ ثم يقول صلى الله عليه وسلم : « فطرة الله التى فطر الناس عليهـا لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » (٢) .

فهذا الحديث الشريف الصحيح نص فى تفسير الآية الكريمة التى

---

(١) الإسلام ومشكلات الشباب للدكتور محمد سعيد رمضان ص ١٥
(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة

ذكره ابن كثير في تفسيره على أن الإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد، وأن مبادىء الإسلام وأحكامه مطابقة تماما لسنن الفطرة، وأن ما يعتور الإنسان من عوج إنما هو أمر طارىء راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة أي إلى عدم تنشئته على النشء أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله، وإلى عدم إشراب النشء روح الإسلام وحبه (١).

كيف نعالج أزمة الشباب ومشكلاته:

بعد أن بينا أن المصدر الكبير الذي يقع على عاتقه أزمة الشباب ومشكلاته هو المجتمع. فلابد إذن من معالجة هذا المجتمع حتى نعالج أفراده وليس معنى هذا أننا نترك الشباب دون توجيه وإرشاد. بل لا بد من التربية والتعليم حتى نصل إلى ما ننشده من تماسك للمجتمع كله ويصبح في أمن وسلام.

وعلاج المجتمع الذي نحن بصدده يكون باتساقه في مجموعه مع شتى أجزائه وجوانبه صادقا مع نفسه، ويكون سير العلم والثقافة والتربية والفكر كما قال أحد دعاة الإسلام (٢). متجها نحو تحقيق غاية لا مشاكسة فيها ولا اضطراب وتكون القيادة لوضع الغاية والهدف بيد العلم وحده، حتى إذا أشارت الحقائق العلمية من فجاج الحياة ومسالكها ومذاهب الباحثين فيها، إلى واحد معين منها وجب على المجتمع أن يحرك سائر مواقفه وأجهزته باتساق كامل نحو ما أشارت إليه تلك الحقائق.

---

(١) الإسلام في عصر العلم للدكتور محمد أحمد الغمراوي ص ٢ - ٧ طبع دار الإنسان بالقاهرة.

(٢) الدكتور محمد سعيد رمضان في كتابه الإسلام ومشكلات الشباب

معنى هذا أن علاج المجتمع يجب أن يكون فى جميع الحياة التى يعيشها سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية أو عسكرية أو أخلاقيـــة . ولنذكر هذه الأمور بشىء من التفصيل .

(أ) فى الحياة السياسية : ـ

١ ـ أن تكون الشورى أساس الحكم فى المجتمع . قال تعالى : «وشاورهم فى الأمر (١) وقال كذلك : «وأمرهم شورى بينهم» (٢) .

٢ ـ وأن يكون الحكم كله لله العلى الكبير . قال تعالى : «إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (٣) . وقال : «ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٤) وقال عز من قائل : «إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (٥) .

(ب) فى الحياة الدينية والروحية : ـ

أن يكون المسجد هو المنطلق الذى ينطلق منه أى توجيه أو إرشاد للمجتمع ، قال تعالى : «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين» (٦) وقال أيضا : وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا» (٧) .

---

(١) الشورى ٣٨ (٢) آل عمران ١٥٩
(٣) الأنعام ٥٧ (٤) الأنعام ٥٧
(٥) يوسف ٦٧ (٦) التوبة ١٨
(٧) الجن ١٨

(ج) فى الحياة الاجتماعية :

١ — أن يكون العمل الصالح هو الأساس الذى يقوم عليه سعادة المجتمع .

قال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا »(١) . وقال : والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

٢ — وأن تكون تقوى الله عز وجل هى الفاصل بين الناس « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(٢) .

٣ — وأن تكون الأخوة الصادقة هى الشعار الذى تقوم على أساسه صلات الناس بعضهم مع بعض قال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »(٣) ، وقال : والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »(٤) .

(د) فى مجال التنظيم العسكرى :

وهذا يكون بتكوين جيش من أقوياء المسلمين امتثالا لقول الله

---

(١) الكهف ١٠٧ — ١٠٧ (٢) الحجرات ١٣
(٣) الحجرات ١٩ (٤) الحشر ٩

تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »(١) .

(ه) فى الحياة الأخلاقية :

أن يكون القرآن الكريم أساس هذه الأخلاق التى نسعى إليها ، وليس هناك عظم وأفضل من خلق النبى ﷺ فقد خاطبه ربه بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » ، ولما سئلت السيدة عائشة عن خلق النبى ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن » وعلى هذا فإذا تخلقنا بخلق رسول الله عليه الصلاة والسلام فإننا نتخلق بخلق القرآن الكريم .

(و) فى الحياة الإقتصادية :

بالنظر إلى المجتمعات المعاصرة من الناحية الاقتصادية ، نجد أن النظام الرأسمالى والنظام الشيوعى هما النظامان المشهوران فى كثير من المجتمعات وحينما نتساءل عن حقيقتها نجد ـ بالطبع على سبيل الإيجاز ـ أن النظام الرأسمالى يميل إلى تكوين طبقة فى المجتمع ، تستأثر بتداول المال واستثماره فى التجارة والصناعة ، وتحل محل طبقة النبـــلاء والأشراف فى التمتع بالنفوذ والسلطة ، بجانب حياة الترف وإشباع الرغبات الشخصية .

أما النظام الشيوعى فيقوم على مبـــدأ « النقيض » ، و « التطور » و « الواقع » ، وهذا المبدأ الأخير يراد منه القضاء على الدين نهائياً .

من أجل هذا كانت الشيوعية هى تحول عبادة الإنسان إلى « وثن » يسخر ولا يستطيع أن يسخر ويوجه غيره .

---

(١) الأنفال ٦٠

وتحول طبيعة الإنسان من طبيعة سائدة إلى طبيعة مسودة ... وإطها — وهو العلم — يتغير اليوم عنه بالأمس ...

والشيوعية أيضاً تحكم الجسم فى الروح ، وتفرض على العقل سيادة المعـــدة ، بخلاف الدين الذى يدعو إلى الوئام بين الروح والجسم لدى الأفراد(١) ، بدليل أننا لو نظرنا إلى المنهج الإقتصادى السليم الذى رسمه القرآن الكريم نجد عجباً .

وعلى سبيل المثال نستطيع أن نجمل ما يأتى :

١ — تقويم العقـــل الإنسانى : قال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

٢ — الإيمـان بالله ضرورى للإنسان:قال تعالى:«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

٣ — احترام الملكية الفردية : ولكن بشرط أن لا يكون ذلك عن طريق الحرام .

٤ — تنظيم العلاقة بين العامل وصاحب العمل .

٥ — تحديد طرق الإستمتاع بما يملك .

٦ — تنمية روح الجماعة .

٧ — أطمئنان الفرد على ماله والمحافظة عليه وصيانته . . . الخ(٢) .

---

(١) الإسلام فى الواقع الإيديولوجى المعاصر الدكتور محمد البهى ص ٦٨ — ١٢٧

(٢) الإسلام والمذاهب الإقتصادية المعاصرة للأستاذ إبراهيم محمد إسماعيل .

والنصوص والآثار الدالة على ذلك كثيرة ستكون إن شاء الله فى دراسة مستقلة .

هذه لمحات سريعة عن علاج المجتمع الذى نريده ونعيش فيه .

وما أحداً من الناس يسأل هل من الممكن قيام مثل هذا المجتمع؟ وكأن هذا الأمر فى الخيال فقط ولا صلة له بالواقع ، والحقيقة أن هذا المجتمع الذى نسعى إليه ونضع له العلاج المفيد قد تحقق بهذه الصورة المشرقة فى يوم من الأيام ، ذلك حينما هاجر النبى ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، ففى المدينة أقام هذا المجتمع الذى نحلم به وهذه الدولة الجديدة التى نعتز بها .

وكما يقول أحد رجال الفكر الإسلامى(١) عن هذه الدولة الجديدة : « إذا كانت الهجرة إنطلاقاً من بلد وثنى يضطهد الدعوة والدعاة ويتناول المسلمين بالقهر والتعذيب ، إلى بلد آمن وديع ، لتكوين قاعدة الإسلام الصلبة ، وإنشاء دولته الجديدة .

فإنها بهذا المنطلق تعتبر مبدأ ميلاد الدولة العصرية الحديثة التى طال انتظار العالم لها وتشوقه إليها .

ولقد كانت تعاليم الإسلام فى بساطتها وسماحتها وملاءمتها للفطرة والطبيعة وتجاوبها مع المشاعر والعواطف حركة تقدمية تمثل المستقبل الذى تتطلع إليه الدنيا ، مما جعل الوثنية بعد ذلك جموداً ورجعية . بل طعن الجاهلية كلها فى الصميم طعنة نجلاء » .

---

(١) الشيخ توفيق سبع فى كتابه أضواء على الهجرة، طبع بمجمع البحوث الإسلامية .

هذا هو العلاج للمجتمع الذى بإصلاحه يتصلح أمر الشباب موضوع دراستنا .

ولم يكتف الإسلام فى معالجة الشباب بمعالجة المجتمع ككل ، بل عمل على معالجة الشباب مباشرة سواء كان ذلك من الناحية الجسمية أو العلمية أو الخلقية .

فهـذا هو القرآن الكريم يعلمنا كيف نرقى الشـباب من هذه النواحى فيقول تعالى على لسان لقمان عليه السلام يعظ ابنه : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله فى عامين، أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير .

وإن جاهداك على أن تشرك فى مالیس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سـبيل من أناب إلى، ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بمـا كنتم تعملون ،

يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير .

يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »(١) .

فى هذه الآيات الكريمة الجامعة يرسم المولى تبارك وتعالى المنهاج القويم لتربية الشباب تربية سليمة فيها العزة والكرامة، والسعادة، والسلام ، وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التى تبين هذا المعنى .

---

(١) سورة لقمان الآيات ١٣ — ١٩

منها قوله عليه الصلاة والسلام: « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع(١) » ، « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن(٢) » ، « قالت أسماء رضى الله عنها : « قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ مع أبيها ، فاستفتيت النبى ﷺ فقلت : إن أمى قدمت وهى راغبة أفأصلها ؟ قال نعم صلى أمك(٣) » ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : ياغلام، إنى أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو أجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف(٤) » .

« عن ابن عمر رضى الله عنه قال النبى لأصحابه يوماً : إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها ، وهى مثل المسلم ، حدثونى ماهى ؟ فوقع الناس فى شجر البادية ووقع فى نفسى أنها النخلة ،قال عبد الله : فاستحييت، قالوا يارسول الله أخبرنا بها ، فقال عليه السلام : « هى النخلة .. قال عبد الله : فحدثت أبى بما وقع فى نفسى ،فقال : لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لى حمر النعم(٥) » .

« عن سلمة بن الأكوع قال : مر النبى ﷺ على قوم يتضلون فقال :

---

(١) رواه الترمذى عن جابر بن سمرة.
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه الترمذى عن ابن عباس .
(٥) رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما .

أرموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ، أرموا وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال لهم الرسول ﷺ مالكم لاترمون ! قالوا كيف نرمى وأنت معهم ، فقال ارموا وأنا معكم جميعاً(١) » ، إلى آخر هذه الأحاديث الشريفة التى توضح كيف نأخذ بأيدى شبابنا إلى السعادة الحقيقة التى نهدو إليها ...

برنامج عمل مبسط إلى أولياء أمور الشباب : —

إذا كان المسئولون عن الشباب فى كل موقع من المواقع سواء كان هذا الموقع المنزل أو المدرسة أو المجتمع ... — جادين فى تربية جيل يحمل الأمانة ، ويؤدى الرسالة كما ينبغى ، فهذا برنامج عمل مبسط يستطيع به ولى الأمر ، — مع صدق النية — أن يساهم فى تنشئة هذا الجيل الذى نريده ، ونسعى إلى وجوده .

وكم نادينا مراراً وتكراراً فى خطب متعددة ، وندوات متفرقة ، ومقالات متنوعة .. بضرورة تطبيق هذا البرنامج على جميع الناشئة فى كل مراحل التعليم الإبتدائى والمتوسط والعالى ، المدنى والعسكرى . . وفيما يلى نذكر موجزاً لهذا البرنامج المبسط .

أبدأ فوراً أيها المسئول بتعليم الأولاد قيم الأخلاق ، ومبادىء الإسلام الخالدة التى جاء بها المصطفى ﷺ .

طبقها أمامهم عملياً لتكون قدوة لهم ..

شجعهم على تطبيقها سراً وعلانية ..

---

(١) رواه البخارى .

رب فى نفوسهم الوازع الدينى ، وحب الله ورسوله والناس أجمعين .

كن على يقظة دائماً لمراقبة الكلمات التى تخرج من الأولاد بسبب خروجهم إلى الأماكن العامة .

شجع الصحيح ، والصالح منها وحارب الفاسد ، والطالح .

أعمل على تجنيبهم أصدقاء السوء .

ساعدهم على تقوية علاقاتهم بأصدقاء الخير .

حاول أن تعرفهم بأصدقاء جدد ترتاح إلى أخلاقهم .

أجعل الصدق شعارك أمام الأولاد ليتعودوا الصدق فى جميع أمورهم مهما كلفك هذا الصدق لأنه دائماً يأتى بخير .

أخلص قلبك يكفك العمل القليل . وعلى هذا تستطيع أن تعود الأولاد على محاربة الزور ، والبهتان ، والغش ، والتدليس ، وانجاز الأعمال كاملة دون نقص أو إخلال أو إهمال .

حاول أن تعود الفتيه على حمل الأمانة وتأديتها . والذى يتدرب على حمل الأمانة الصغيرة اليوم يستطيع أن يحمل الأمانة الكبرى غدا ، كما أن الذى يخون الأمانة فى صغره من الممكن أن يتساهل فى ضياعها وهو كبير يعتمد عليه .

عودهم على إقامة الصلاة لأنها صلة بين العبد وربه . وبالتالى ستكون هذه الصلاة سببا فى الابتعاد عن الفحشاء والمنكر كما أنها تؤدى إلى مضاعفة الجهد فى تحصيل الرزق كما هو موضح فى كثير من الآيات الكريمة وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام .

اربط الصلاة أولا بالأجرة لتربط بعد ذلك بالأجر ولتصبح أخيرا

عملا خالصا لوجه الله وقربة إلى الله وتوددا إليه وحبا مطلقا له دون نظر إلى ثواب أو عقاب .

اجعلهم دائما يحسون بمشاكل الناس ، ومتاعبهم حتى يتعودوا التجاوب معهم فى آلامهم . وأحزانهم كما أوصى الإسلام .

رغبهم فى التستر على عورات الناس وعدم تتبعهم لها . لأن من تتبع عورات الناس . فضحه الله ولو فى عقر داره .

وهذا ليس معناه القعود عن الدعوة إلى الله تعالى لأن الدعوة إلى الله شيء ، وتتبع العورات شيء آخر .

عود الصغار على أداء الصدقات من الأموال البسيطة التى فى حيازتهم . ليتعودوا بذلك على إخراج الزكاة حينما تكون واجبة عليهم . خاصة بعد أن يكبروا ويدركوا حقيقة الحياة

نظم للأولاد مشاهدة البرامج التليفزيونية الهادفة التى تفيدهم ، وتعمل على تكوينهم كما يتمنى المصلحون .

راقب كل مايصل إلى الشباب من الكتب ، والقصص ، والمجلات ، والصحف المختلفة ، لأن هذه الوسائل الإعلامية إما أن تكون سببا فى خلق جيل مؤمن قوى . إذا كانت صالحة . أو فى إيجاد جيل ملحد ضعيف إذا كانت فاسدة .

علم الشباب الثبات على المبدأ الحق والدعوة إليه . والصبر على المصاعب والمتاعب التى تواجههم ، وعدم اليأس ، حتى يصلوا إلى أهدافهم وغايتهم .

رب فى نفوس الشباب العزة والكرامة . ورب فى نفوسهم الإيمان

بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ..(١)

وصايا جامعة إلى الشباب :

بعد هذا البرنامج المبسط الموجه إلى المسؤولين عن الشباب في كل موقع من المواقع المختلفة نذكر فيما يلي وصايا وتوجيهات مباشرة إلى هؤلاء الشباب ليكونوا على ذكر من أمرهم .. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ..(٢)

من القرآن الكريم :

« وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون . يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش

---

(١) التربية الدينية التي يحتاج إليها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر للدكتور ابراهيم اللبان ، ودور القيم الروحية والتربوية في حل مشاكل الإنسان للإستاذ عبد اللطيف برى

(٢) هود آية ٨٨

فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »(١)

من السنة النبوية الشريفة :

« ياغلام : إنى أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى لك ، وأن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف »(٢)

وفى رواية أخرى : احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا »(٣)

« يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »(٤)

---

(١) لقمان الآيات ١٣ — ١٩

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح عن أبى العباس : عبدالله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كنت خلف النبى ﷺ يوما ، فقال لى : ياغلام :

(٣) رواه الترمذى ، والإمام أحمد فى المسند .

(٤) رواه الجماعة عن ابن مسعود رضى الله عنه

من الواعظ ابن الجوزي :

فيما يلي بعض الوصايا الغالية من واعظ كبير ووالد محب لولده من الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧) إلى فلذة كبده ولده محمد المكنى أبا القاسم ينصحه بها .

وكان - رحمه الله - قد سأل ربه أن يرزقه عشرة من الأولاد فاستجاب الله دعاءه ورزقه خمسة من الذكور وخمس إناث ، فمات من الإناث اثنتان ومن الذكور أربعة ، فلم يبق من الذكور سوى ولده أبي القاسم ، فسأل الله عز وجل أن يجعل فيه الخلف الصالح ، فكتب إليه برسالة غالية للنصح والإرشاد .

منها هذه الوصايا التي سنذكرها فيما بعد ، لتتوجه بها إلى كل شاب يريد السعادة الحقيقة في الدارين الدنيا والآخرة . كما نتوجه بها أيضا إلى كل ولي أمر ليعرف كيف تكون وصية الآباء الأبناء ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

يقول ابن الجوزي لابنه : « اعلم يا بني — وفقك الله للصواب — أنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه ، فاستحضر عقلك ، واعمل فكرك واخل بنفسك ، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها ، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك ، وأن أنفاس الحي خطام إلى أجله ، فانتبه وانعب نفسك ، واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم ، فمن تعدى الإنسان فالنار النار .

ثم أعلن أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين . . . وكل ميسر لما خلق له .

وانظر يابنى إلى نفسك عند الجدود ، فتلمح كيف حفظك لها ، فإنه من راعى روعى ، ومن أهمل ترك . . .

ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسى من العدو لتلك أسبق ، وكنت أصبح وليس لى ما كل وأمسى وليس لى ما كل ، ما أذلنى الله لمخلوق قط ولكنه ساق رزق لصيانة عرضى . ولو شرحت أحوالى لطال الشرح ، وها أنا قد ترى ما آلت حالى إليه ، وأنا أجمعه لك فى كلمة واحدة وهى قوله تعالى : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .

فانتبه يابنى لنفسك . واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد فى لحاق السكاملين ما دام فى الوقت سعة .

واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعتك التى ضاعت فكفى بها عظة . ذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل ، ولا يؤيسك يابنى من الخير ما مضى من التفريط ، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الرقاد الطويل . فالزم نفسك الانتباه عند طلوع الفجر ولا تتحدث بحديث الدنيا ، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون فى ذلك الوقت بشىء من أمور الدنيا .

وقل عند انتباهك من النوم ، الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور ، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ؛ إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

ثم قم فى الطهارة واركع سنة الفجر ؛ واخرج إلى المسجد خاشعا وقل فى طريقك ، اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا ، أنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت إتقاء سخطك ، وإبتغاء مرضاتك ، أسألك أن تجيرنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام ، فاذا فرغت من الصلاة فقل : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له . له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » عشر مرات .

ثم سبح عشرا ، وأحمد عشرا ، وكبر عشرا ، واقرأ آية الكرسي ، واسأل الله سبحانه قبول الصلاة ، فان صح لك فاجلس ذاكرا الله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع ، ثم صل وتركع ما كتب لك ، وإن كان ثمان ركعات فهو حسن .

فإذا أعددت درسك إلى وقت الضحى الأعلى فصل الضحى ثم في ركعات ، ثم تشاغل بمطالعة أو نسخ إلى وقت العصر ، ثم عد إلى درسك من بعد العصر إلى وقت المغرب ، وصل بعد المغرب ركعتين بجزمين ، فإذا صليت العشاء فعد على دروسك ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، فسبح ثلاثا وثلاثين ، وأحمد ثلاثا وثلاثين وكبر أربعا وثلاثين ، وقل : « اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك » .

وإذا فتحت عينك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء وصل في ظلام الليل ما أمكن ، واستفتح بركعتين خفيفتين ، ثم بعدهما ركعتين بجزمين من القرآن . ثم تعود إلى درس العلم ، فإن العلم أفضل من كل نافلة .

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير ، وأحذر من جليس السوء ، وليكن جلساؤك الكتب والنظر في سير السلف ، ولا تشتغل بعلم حتى تحكم ماقبله : وتلمح سير الكاملين في العلم والعمل ، ولا تقنع بالدون فقد قال الشاعر :

ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

واجتهد يا بني في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها ، واقنع تعز ، فقد قيل : من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد ،

ومر أعرابي على البصرة فقال: من سيد هذه البلدة ؟ قيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم ؟ قالوا: لأنه استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه .

يا بني: ومتى صحت التقوى رأيت كل خير ، والمتوقي لا يرائي الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظه الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لابن عباس رضي الله عنهما : « أحفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده أمامك » .

واعلم أن أوفى الشعائر . غض الطرف عن محرم ، وإمساك اللسان عن فضول كلمة ، ومراعاة لحد ، وإيثار الله سبحانه وتعالى على هوى النفس... وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال ، فإن خلقا وقفوا مع الزهد ، وخلقا تشاغلوا بالعلم ، ونذر أقوام جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل .

واعلم أني قد تصفحت التابعين ومن بعدهم ، فما رأيت أحظى بالكمال من أربعة أنفس : سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم ، وقد كانوا رجالا . وإنما كانت لهم همم ضعفت عندنا ، وقد كان في السلف خلق كثير لهم همم عالية .

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به ، فإن الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا قد أعرضوا عن العمل بالعلم فنعوا البركة والنفع به .

وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم ، فإن خلقا كثيراً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم .

واستر نفسك بثوبين جميلين لا يشهر اسمك بين أهل الدنيا برفعتهما ولا بين المتزهدين بضعتهما . وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة فإنك مسئول عن ذلك ، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون .

ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر .

فلا تعظن إلا بنية ولا تمشين إلا بنية ، ولا تأكلن لقمة إلا بنية ، ومع مطالعة أخلاق السلف ينكشف لك الأمر وكن حسن المداراة للخلق مع شدة الاعتزال عنهم ، فإن العزلة راحة من خطاء السوء ومبقية للوقار ، فإن الواعظ — خاصة — ينبغي له أن لا يرى متبذلا ولا ماشيا في السوق ولا ضاحكا ليحسن به الظن فينتفع بوعظه ، فإذا اضطررت إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحلم عنهم ، فإنك إن كشفت عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم .

وأد كل ذي حق حقه ، من زوجة وولد وقرابة ، وأنظر كل ساعة من ساعاتك بم تذهب ، فلا تودعها إلا أشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك ، وعودها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه ، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه كما قيل :

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

وراع عواقب الأمور حين عليك الصبر عن كل ما تشتهي وما تكره ، وإن وجدت من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر وذكرها قرب الرحيل ، ودبر أمرك والله المدبر — في انفاقك من غير تبذير ، لئلا تحتاج إلى الناس ، فإن حفظ المال من الدين ، ولأن تخلف لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس وهذا قدر اجتهادي في وصيتي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

---

(١) لفتة البكير إلى نصيحة الوالد للجاحظ أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) المطبعة السلفية بمصر ط ١٣٩٤ هـ